دراسة تقويمية لقرار الخليفة الفاطمي العاضد لدين اللّه باستدعاء قوات نور الدين إلى مصر سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م)

د. حسين حديس جاسم
كلية التربية / جامعة تكريت

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

تضمن البحث دراسة وتقويم لقرار الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله باستنجاده بقوات نور الدين محمود حاكم دمشق سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) إلى مصر لإنقاذ بلاده من خطر الصليبيين بقيادة عموري الأول ملك مملكة بيت المقدس، الذي كان يتطلع إلى احتلال مصر وتوسيع الوجود الصليبي في أرض العرب، غير أن هذا القرار أفشل طموحه وزاد من قوة المسلمين إذ كانت له آثاراً مهمة في ساحة الصراع العربي الإسلامي – الصليبي كان في مقدمتها تحرير بيت المقدس لاحقاً من الصليبيين سنة (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م)، إلى جانب دراسة ما لهذا القرار من نتائج وقيمة سياسية وعسكرية وتاريخية كانت تصب في صالح الأمة وقوتها، توصل لها الباحث من خلال تحليله للوقائع والأحداث اللاحقة لهذا القرار والتي سنتناول تفاصيلها في هذه الدراسة لاحقاً.

المقدمة:

هناك محطات فاصلة في التاريخ أساسها قرارات شجاعة ومفصلية يترتب على اتخاذها أحداث وتحولات خطيرة، ومن بين تلك القرارات، ما قام به الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م – ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م) عندما قرر التماس نجدة قوات نور الدين محمود حاكم دمشق سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) إلى مصر لإنقاذ بلاده من خطر الصليبيين، مع إدراكه أن هذه القوات قد تقضي على دولته، لكنه أصر على اتخاذ هذا القرار رغم ما

سيترتب عليه من تبعات، فوضع مستقبل الإسلام ومستقبل مصر أمام عينيه واتخذ قراره الحاسم الذي سما فيه بحق فوق المصالح السياسية والمذهبية وارتقى إلى منزلة عالية من الإيثار.

غير أن الملاحظ أن قرار العاضد هذا على الرغم من أهميته وما ترتب عليه من نتائج لاحقة في صالح الأمة إلا أنه ظل محاطاً بالغموض وسوء الفهم، مما يستلزم الدراسة والتقويم لتوضيح قيمة هذا الفعل ونتائجه للأجيال اللاحقة خاصة ونحن أشد ما نكون بالحاجة اليوم لمثل هذه الأفعال، الأمر الذي دفعنا لدراسته هنا... آملين أن نكون قد وفقنا في إعطاء صورة واضحة عن الموضوع... والله من وراء القصد.

مصر والصراع الإسلامي - الصليبي:

تتمثل أسباب حدة الصراع الإسلامي الصليبي على مصر في هذه الحقبة بين نور الدين محمود حاكم دمشق وعموري الأول[١] ملك بيت المقدس، بعد أن دخل هذا الصراع مرحلة جديدة مع النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الحادي عشر الميلادي عندما بدأت الكفة تتعادل بين الطرفين لاسيما بعد أن مد نور الدين محمود نفوذه باتجاه وسط الشام، وبخاصة بعد الاستيلاء على دمشق سنة (٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م) وخلق جبهة قوية ضمت المدينتين الرئيستين في بلاد الشام حلب ودمشق، عندها أدرك الصليبيون والمسلمون عجز أحدهما على التغلب على الآخر، فبدأت الأنظار الصليبية تتجه إلى مصر للاستيلاء عليها لإعادة ميزان القوى لصالحهم نظراً للقيمة الستراتيجية التي ستترتب على الاستيلاء على مصر وذلك لغنى مواردها وإمكانية تحويلها إلى قاعدة للاستقطاب الأوربي الذي سيقود إلى تغيير هائل في موازين القوى، ومما شجع على هذا التوجه إلى مصر هو وجود عاملين مهمين هما:

١. أهمية مصر للطرفين المتنازعين:

تعد مصر ذات أهمية اقتصادية وبشرية وسوقية بالنسبة للطرفين المتنافسين، نظراً لما تمتلكه مصر من مقومات مهمة جعلت منها دولة حضارية منذ فجر التاريخ ودولة مهمة في المنطقة في هذه الحقبة كذلك حتى يمكن تشبيهها ببيضة القبان التي تستطيع ترجيح كفة ميزان القوى بين الطرفين المتنازعين لمن فاز بها أولاً واستطاع ضمها إليه، نظراً لموقعها المتميز الذي

جعل منها حلقة الوصل بين قارتي آسيا وأفريقيا[٢] كونها واقعة على حافتي بحرين مهمين هما البحر المتوسط والبحر الأحمر وما عليهما من موانئ مهمة مثل دمياط[٣] وما لها من أهمية تجارية وعسكرية زادت الحاجة إليه في حقبة الحروب الصليبية[٤]، وما يقابلها في الضفة الأخرى للبحر المتوسط وما عليه من مدن إيطالية تجارية مهمة مثل جنوة وبيزا والبندقية وما كان لهن من دور تجاري وعسكري في الحملات الصليبية[٥].

وإلى جانب الموقع فإن لمصر ثروات مادية وزراعية كثيرة زادت من أهميتها الاقتصادية إذ كانت زراعتها جيدة ومعروفة منذ أقدم العصور وصولاً إلى عهد الدولة الفاطمية التي اهتمت بتنميتها وتطويرها، والتي تتمثل بزراعة الحبوب على اختلاف أنواعها إلى جانب المحاصيل الزراعية التجارية كالسمسم والقطن والكتان والفواكه بأنواعها[٦] وأشجار النخيل على شاطئي النيل من الجانبين الشرقي والغربي، فضلاً عن أشجار الغابات للحصول منها على الأخشاب اللازمة لصناعة الأسطول الحربي والمراكب التجارية[٧].

كما نمت الصناعات المحلية في مصر في العهد الفاطمي التي تركزت في المدن المهمة مثل القاهرة والفسطاط كالصناعات العسكرية لسد حاجة الجيش إلى جانب بعض الصناعات التي يحتاجها الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة وبقية الناس كالصناعات النسيجية الراقية الصوفية منها والحريرية بأنواعها[٨]، فضلاً عن صناعة الزجاج وبعض الصناعات المتنوعة الأخرى[٩] أما التجارة وطرقها البرية والبحرية فكان لمصر كذلك نصيباً وافراً منها نتيجة موقعها المتميز إذ كانت فيها مراكز تجارية مهمة ومشهورة مثل الفسطاط والقاهرة وأسوان فضلاً عن الموانئ التجارية مثل الإسكندرية والفرما ودمياط، مما جعل لمصر علاقات تجارية واسعة مع العالم في العهد الفاطمي[١٠] سواء مع المدن المطلة على حوض المتوسط كجنوة والبندقية أو مع بيزنطة وأوربا والمشرق[١١] وهو ما زاد من أهمية مصر في المنطقة ونشاطها الاقتصادي الذي انعكس إيجاباً على تحسن ورقي الحياة المعيشية والحضارية لدى الخلفاء الفاطميين وقد وعى الصليبيون أهمية وغنى مصر التي عكسها المؤرخ وليم الصوري أثناء وصفه للقصر الفاطمي في عهد الخليفة العاضد نقلاً عن (هيو) مبعوث الملك عموري الأول إلى الخليفة العاضد سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) الذي أعجب بالقصر ووصفه قائلاً: "كانت هنالك ردهات

مدعومة بأعمدة رخامية مغطاة بتصاميم بارزة وذات سقوف مزخرفة ومطلية بالذهب... وكانت المادة والصنعة أنيقتين إلى درجة أن عيون جميع الذين رأوها فتنت بشكل لا إرادي بالجمال النادر، ولم تسأم من رؤيتها أبداً..." [١٢] مما يدل على رقي الحضارة المصرية في هذه الحقبة التي زادت من شدة إعجاب الصليبيين وانبهارهم لما شاهدوه من جمال وروعة القصر الفاطمي الأمر الذي زاد من أطماعهم في مصر وثرواتها وموقعها خاصة بعدما عرفوا حالة الوهن في حكومتها التي كانت تعيش أسوأ أوضاعها في هذه الحقبة من الفوضى والصراع في إدارتها بين الخليفة من جهة ووزراءه وأمراء جيشه من جهة أخرى حتى غدت عاجزة عن حماية نفسها.

الأمر الذي زاد من أطماع جيرانها فيها سواء من قبل نور الدين محمود أو عموري الأول الذين كانا طامعين فيها ويحث كل واحد منهما الخطى والاستعجال باحتلالها وضمها إليه قبل غيره، لأن الوقت بالنسبة لهما لم يعد قابلاً للوقوف جانباً والانتظار طويلاً لما يحدث، فأخذا يتسابقان لاحتلالها نظراً لما عرفاه من أهميتها وما تشكله من قوة فاعلة لمن فاز بها أولاً.

٢. ضعف حكومة مصر:

يمكن توصيف فترة حكم الخليفة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين بأنها امتداداً لفترة ضعف الخلافة بشكل عام التي سميت بفترة (نفوذ الوزراء) وتسلطهم على الخلافة التي بدأت ملامحها منذ أواخر عهد الخليفة المستنصر بالله (٤٢٧ هـ /١٠٣٥ م – ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) إذ صار الوزير في مصر يتمتع بالسلطة الفعلية دون الخليفة وصاحب النفوذ وإليه ترجع الأمور وبيده توزيع المناصب المهمة[١٣] كما أن منصب الوزارة في هذه الحقبة صار مسرحاً لتنافس كبار الطامحين به من الرجال مما ولد حالة من الصراع والفوضى والارتباك في الدولة[١٤] الأمر الذي انعكس سلباً على أوضاع الخلافة والوزارة معاً على حد وصف أبو الفداء: " الوزارة في مصر لمن غلب "[١٥] إذ أوصلت الحال نتيجة هذه الصراعات إلى الوزارة طلائع ابن رزيك الملقب بـ (الصالح) الذي كان له دوراً في اختيار العاضد وتنصيبه خليفة[١٦] الأمر الذي جعله صار لا يكتفي بالتدخل بالشؤون السياسية للخليفة فحسب بل تعدى غروره إلى التدخل بشؤونه الخاصة كذلك إذ فرض على الخليفة العاضد الزواج من ابنته ليجمع في قبضته الخلافة والملك

معاً[١٧] مما دعا بأهل قصر الخلافة والعاضد إلى قتله والتخلص منه[١٨] ومهدت أمور الوزارة من بعده لابنه رزيك الذي لقب بـ (العادل) سنة (٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م)[١٩].

بيد أن وزارة هذا الأخير لم تبق طويلاً إذ سلبها منه شاور[٢٠] الذي كان والياً على الصعيد ومنافساً له على الوزارة[٢١] فسار شاور على رأس جيش إلى القاهرة حتى شارف دخولها مما دفع بالوزير العادل ابن الصالح إلى الهرب منها دون قتال، فدخل شاور القاهرة منتصراً وحضر بين يدي العاضد الذي رضي بالأمر الواقع ووزر شاور ولقبه (أمير الجيوش) سنة (٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م) [٢٢] لكن شاور هذا لم يكن أفضل من سابقيه من الوزراء سواء في الفوضى أو التدخل في شؤون الخلافة إذ اعتدى على دار الوزارة كما هجم على أموال بني رزيك ونهبها، وراقب كبار العسكر واضطهدهم خوفاً من منافستهم له[٢٣] الذين كان من بينهم أبو الأشبال (ضرغام)[٢٤].

الذي تصدى لشاور وحاربه وانتصر عليه ودخل القاهرة وأخذ الوزارة منه سنة (٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م) [٢٥]. غير أن الصراع بين شاور وضرغام لم ينته على منصب الوزارة ودفع كل منهما إلى الاستنجاد بأعداء الخلافة من الزنكيين والصليبيين[٢٦].

وقد ترافق مع هذه الصراعات والتنافسات بين الوزراء تعرض مصر في هذه الحقبة إلى المزيد من الأزمات الاقتصادية والبيئية كالقحط والفيضانات وعدم قدرة الحكومة على معالجتها نتيجة انشغالها بمشاكلها الخاصة الأمر الذي أدى إلى تدهور أوضاعها الاقتصادية والمعيشية وارتفاع الأسعار فيها[٢٧] إذ تزامنت هذه الأوضاع والأزمات مع مجيء الخليفة العاضد الذي كان حدثاً وقليل الخبرة السياسية فدخل معترك هذه المشاكل دون أن يتمكن من إيجاد الحلول المناسبة لها مما أدى إلى ضعف دولته وعدم قدرتها على التصدي لهذه المخاطر المحدقة بها من قبل الصليبيين المتمثلة بأطماع عموري ملك بيت المقدس (٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م – ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م) في الوقت الذي أقلق من الجانب الآخر نور الدين حاكم دمشق وتخوفه على مستقبل مصر إذا ما غدت بيد الصليبيين الأمر الذي زاد من حدة التنافس والتسابق بينهما لضم مصر واحتلالها قبل غيره.

المحاولات الصليبية وقرار الحسم:

بعد أن عرفنا آنفاً أن من أهم أسباب الصراع على مصر من قبل جوارها كان نتيجة لأهميتها الاقتصادية والبشرية فضلاً عما رافقها من أزمات اقتصادية وفوضى سياسية وإدارية أدت إلى ضعفها وعدم قدرتها على الدفاع عن نفسها في هذه الحقبة حتى صارت مصر كما وصفها ابن شداد تسير بمجرد: " الإيهام والمحال"[٢٨] الأمر الذي أطمع الصليبيون فيها وجعلهم يتطلعون لاحتلالها لأنهم كانوا محصورين بجزء ضيق من بلاد الشام محدود الاقتصاد، وهم بأمس الحاجة إلى مصر ومساحتها البشرية والمادية وإن أخذها بالنسبة لهم يعني الضمان والأمان لبقائهم في المنطقة ويساعد على توسيع مشروعهم الاستيطاني في أرض العرب للوصول إلى مقدساتهم (مكة والمدينة)[٢٩].

لذا فإنهم قاموا بعدة محاولات قبل هذه الحقبة لغزو مصر ابتداء من عهد الملك بلدوين الثالث الذي هدد بغزو مصر سنة (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) منتهزاً فرصة الفوضى التي عمتها إثر مقتل الخليفة الفائز[٣٠]، غير أن الحكومة الفاطمية آنذاك استطاعت ثنيه عن احتلالها بتعهدها له بدفع جزية مقدارها (مائة وستون ألف) دينار[٣١] مما أطمع الملك عموري الأول الذي جاء بعده أن يسير بنفس أطماع المشروع الصليبي التوسعي، وبالتوجه إلى مصر ومحاولة احتلالها خاصة بعد شعور الصليبيين بالخطر في بلاد الشام بعد نجاح نور الدين محمود بإقامة مشروع الوحدة بين حلب ودمشق سنة (٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م) [٣٢].

فأخذ عموري يطالب حكومة مصر بدفع الأموال المستحقة عليها سابقاً مستغلاً حالة الضعف والفوضى فيها، فشن هجوماً على الدلتا سنة (٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م) حتى وصل إلى بلبيس وحاصرها لولا فيضان نهر النيل الذي أجبره على الخروج والعودة منها خائباً[٣٣]، غير أن عموري على الرغم من فشله في هذه الحملة إلا أنه استفاد منها استخباراتياً واعتبرها حملة استطلاعية على مصر بالنسبة له، إذ تعرف من خلالها على واقع مصر ومواطن ضعفها تمهيداً لغزوها والتفكير جدياً باحتلالها لاحقاً[٣٤].

الأمر أثار انتباه نور الدين حاكم دمشق وزاد من قلقه على مستقبل مصر من خلال جرأة عموري الأول ومحاولته أخذها كما زاد تخوفه أن يقوم عموري بتكرار هذه المحاولة مرة أخرى والتي ربما قد تكون أخطر من سابقتها هذه المرة ويحقق هدفه فيها، كما أخذ نور الدين يتهيأ لمسك زمام الأمور وقبل فواتها قبل أن لا ينفع الندم لأن استيلاء عموري على مصر سوف يعزز قوته ويجعله يتحكم بمملكته ويحاصرها من الشمال والجنوب[٣٥] لكن هذا الحلم صار أقرب إلى نور الدين بعد مجيء شاور إليه في دمشق مستنجداً من خصمه الوزير ضرغام[٣٦] الذي شجعه وحثه على الإقدام بحملة إلى مصر وتخليصه من ضرغام، كما تعهد له شاور أن يكون نائبه في مصر ويدفع له ثلث وارداتها إذا ما ساعده نور الدين في العودة إلى الوزارة[٣٧].

غير أن نور الدين تردد في بداية الأمر في إجابة شاور بإرسال حملة تشوبها الشكوك والمخاطر إلى مصر، لكنه وافق في نهاية الأمر نظراً لخطورة الموقف هناك الذي كان لا يحتمل التأخير، فأرسل حملة مع شاور إلى مصر سنة (٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م) بقيادة أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الأيوبي، في الوقت الذي استنجد خصمه ضرغام بالمقابل بالصليبيين ودعوتهم إلى مصر متعهداً لعموري الأول استعداده بعقد اتفاقية معه تتيح للأخير بمقتضاها جعل مصر تابعة له إذا ما خلصه من خطر شاور[٣٨].

لكن سرعة شيركوه وقدرته على قطع الصحراء ووصوله إلى مصر في الوقت المناسب أفشل مشروع ضرغام وحليفه عموري الأول بدخوله معهم في معركة خسر فيها ضرغام حياته ومستقبله ومكنت شيركوه من دخول القاهرة بصحبة شاور وعودته منتصراً إلى الوزارة بعد مقتل ضرغام[٣٩] الذي أفرح موته الخليفة العاضد الذي كان يدرك رغم حداثة سنه خطورة الموقف إذا ما سيطر الصليبيون على مصر الأمر الذي دعاه إلى مناصرة شاور وتأييده بالعودة إلى الوزارة، غير أن شاور هذا كما وصفه ابن تغري بردي: "كان خبيثاً وسفاكاً للدماء "[٤٠] تأكد ذلك منه بعد عودته إلى الوزارة إذ نكث وعده بسرعة وتخلى عن تعهداته السابقة لنور الدين، كما رفض أن يدفع له المال المتفق عليه بل زاد من سقف مطالبته بخروج شيركوه وقواته من مصر لكن الأخير رفض طلب شاور وأخذ بلبيس فتصرف شاور مثل سابقه ضرغام واستنجد بالصليبيين ودعا عموري للعودة إلى مصر مرة أخرى[٤١].

فاستجاب له عموري بطبيعة الحال وحاصرت قواته بالتعاون مع شاور قوات شيركوه في بلبيس لكنها لم تستطع إحراز انتصاراً عليه رغم محاصرته ثلاثة أشهر لكنه غادر مصر بعد اتفاق تم بين الأطراف المتنازعة على أن يغادر كل من عموري الأول وشيركوه مصر[٤٢] بيد أن شاور ظل متمسكاً بعموري ومتعاوناً معه بعد مغادرة شيركوه مما زاد من قلق نور الدين على مصر أكثر من السابق بعدما علم بتواطؤ شاور مع الصليبيين فأنفذ حملة ثانية إلى مصر سنة (٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) وبنفس القيادة السابقة المؤلفة من أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين أفشلت خطط عموري الأول بعد أن التقت معه بعدة مواجهات حتى صار الأمر في النهاية كذلك إلى عقد اتفاق بخروج الطرفين من أرض مصر[٤٣] على أثر حملة شيركوه الثانية.

لكن شاور عقد اتفاقاً مهيناً آخر مع الصليبيين يتيح لهم بموجبه الحصول على (مئة ألف) دينار سنوياً من دخول مصر زاعماً إنها بدل حمايته لمصر من خطر نور الدين وقائده أسد الدين[٤٤] متجاوزاً بذلك رغبة الخليفة العاضد على حد وصف المقريزي الذي قال: " قرر لهم شاور بذلك من غير علم العاضد ولا مشاورته، فإنه كان ممنوعاً من التصرف وشاور يستخدم بأمور الدولة "[٤٥] مما يدل على استبداد شاور في أمور الدولة وإجبار الخليفة العاضد على تمرير هذه الاتفاقية مع الصليبيين وإقرارها رغم ممانعة العاضد على التوقيع عليها لولا ممارسة الضغوط عليه من قبل شاور والصليبيين، ذكر ذلك وليم الصوري واصفاً ملامح حالة الخليفة العاضد النفسية والجسدية أثناء توقيعه هذه الاتفاقية المهينة في قصره مع (هيو) ممثل الملك عموري الأول قائلاً: " [يقصد العاضد] لقد مد يده في آخر الأمر على مضض وهي مغطاة وذلك بعد دراسة طويلة "[٤٦].

مما يبين معاناة العاضد أثاء إبرامه هذه الاتفاقية التي وقعها في ظل حالة نفسية مزرية على حد وصف الصوري: " ووضع الخليفة يده العارية في آخر يد [هيو] لكن في ظل معارضة شديدة وكأنما سلبت من جلالته، إلا أنها اتسمت بابتسامة بسيطة أحزنت المصريين كثيراً... "[٤٧] مما تعكس الصورة الحقيقية للخليفة العاضد الممزوجة بالمعاناة والإكراه والخجل من حالة الوهن للخلافة الفاطمية جراء تصرفات وزيره شاور التي أحرجت العاضد وأتاحت للصليبيين الدخول إلى مصر وتنصيب شحنة لهم في القاهرة يتدخل في شؤون البلاد

وفق ما يريد، كما جعلت أبواب مصر مشرعة لفرسان الصليبيين جراء معاهدة قاسية بشروطها جعلت كل مصر طعماً لهم وصاروا على أبواب القاهرة بعد أخذهم بلبيس[٤٨].

عندها شعر شاور بخيبة أمله وعجزه وحراجة موقفه لعدم التزام الصليبيين بالمعاهدات التي قطعوها له، فعاود من جديد استخدام حيله القديمة والمخادعة معهم لإصلاح الأمور ولكن دون جدوى له بعد فوات الأوان نتيجة تورطه وارتباطه معهم باتفاقات مهينة[٤٩] هددت أمن مصر ومستقبلها فأدرك العاضد خطورة الموقف لأن مصير بلاده صار في مهب الريح لأن القاهرة غدت في متناول أيد الصليبيين الذين أخذوا يبتزون أموالها جراء تصرفات شاور وحالة سقوطها أضحت على الأبواب ومتوقعة في أية لحظة ليحل عندئذٍ في مصر خاصة والمسلمين عامة الدمار والكارثة التي لا تحمد عقباها ولا تعرف نتائجها إذا ظل الوضع على هذه الحالة التي غدت لا تحتمل الانتظار الطويل وصار العاضد أمام امتحان عسير وليس أمامه سوى خيارين لا ثالث لهما وكلاهما مر عليه أحدهما: الاستسلام والسكوت على الوضع المهين وتسليم مصر للصليبيين ويخسر العاضد عندها مستقبله ودينه وأرض المسلمين وأما الخيار الثاني: فهو استنجاده بقائد المسلمين حاكم دمشق نور الدين محمود لينصره ويخلص بلاده من الغزاة الصليبيين رغم تخوفه وقلقه على مستقبله السياسي لكن العاضد اتخذ الخيار الثاني في نهاية الأمر بعد دراسة الموقف وبعد أن تبين له أن مصلحة مصر والمسلمين فوق كل اعتبار ومهما كانت النتائج متجاوزاً بذلك مصالحه الذاتية والمذهبية وكتب إلى نور الدين دون علم وزيره شاور كتاباً ممزوجاً بالمرارة والاستغاثة التي لا تقبل التأخير يدعوه فيها إلى نجدة مصر كما ضمن في طية هذا الكتاب شعور نسائه في القصر قائلاً: " هذه شعور نسائي من قصري يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج "[٥٠].

فكان قرار العاضد هذا قراراً سليماً صائباً حاسماً خطيراً له وزنه لأنه غير مجرى الصراع لاحقاً بين الطرفين لصالح المسلمين، كما دل أن صاحبه العاضد كان على قناعة تامة عند اتخاذه هذا القرار من خلال إخفاء مضمونه على وزيره شاور الذي لامه وبين للعاضد خطورته، لكن العاضد رد عليه بأنه رضي أن تكون مصر إسلامية ويكون هو فداء للمسلمين[٥١]

كما أخذ يتفاخر على شاور لاحقاً قائلاً له: " أين استدعائي الغز من المسلمين لنصرة الإسلام من استدعائك الفرنج للإعانة على المسلمين "[٥٢].

أما نور الدين الذي كان قلقاً على مستقبل مصر من الصليبيين فرح فرحاً شديداً بهذه الدعوة وسارع إلى إنجاد العاضد في إرسال حملة عسكرية ثالثة إلى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه كذلك سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) [٥٣] تمكنت من إعادة الموقف لصالح المسلمين وأفشلت مشروع عموري الأول بضم مصر، إذ جاءت هذه الدعوة مكملة ومتناغمة مع طموحات نور الدين الوحدوية والتي كانت امتداد لمشروع والده عماد الدين زنكي الرامية لتوحيد أرض المسلمين في جبهة واحدة ضد الصليبيين، كما أن ما يعزز قناعة العاضد بدعوة نور الدين هو استمراره بالتعاون مع قادة هذه الحملة وذلك من خلال تعاونه مع أسد الدين لقتل شاور الذي جلب لمصر كل المصائب وتآمر على قائد الحملة أسد الدين شيركوه[٥٤].

فاتخذ العاضد إجراءاً مهماً آخر وأصدر أمراً بتصفية شاور وقتله والتخلص منه[٥٥] واختيار أسد الدين وزيراً له مكان شاور ولقبه بـ (الملك المنصور) [٥٦] مما يدل على حبه لأسد الدين وميله له إذ ظل يشيد به ويمدحه حتى وفاته سنة (٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م) ثم وقع اختياره بعد ذلك على صلاح الدين بعد أن كسب ثقته وإعجابه به لشجاعته وإقدامه وسرعته في تنفيذ الأوامر وجعله وزيراً له، ولقبه بـ (الملك الناصر) [٥٧] وأحبه العاضد محبة عظيمة وسمح له وحده بالدخول إلى قصره ليتجول فيه معه دون حماية[٥٨] كما استمر الخليفة العاضد في دعمه لصلاح الدين عند حصار الصليبيين دمياط سنة (٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م) إذ أعطاه (ألف ألف) دينار عدى المواد الأخرى حتى قال صلاح الدين: " ما رأيت أكرم من العاضد "[٥٩].

أما الناصر فإنه بادل العاضد مشاعر الود والاحترام ولم يتصرف إلا عن أمره رغم أنه كان الحاكم الفعلي في مصر إذ أبقى الخطبة للعاضد أولاً ثم لنور الدين بعده رغم تعرضه للضغوط من قبل الأخير وإلحاحه عليه بقطع الخطبة عن العاضد وجعلها للخليفة العباسي[٦٠] وذلك لشدة رغبة نور الدين في توحيد المسلمين في ظل خلافة واحدة، لكن صلاح الدين صمد برأيه رغم ضغوط نور الدين وتهديداته له ولم يستعجل الأمور وظل يماطل حتى رأى الوقت المناسب لذلك فقطع الخطبة للخليفة العاضد في أواخر أيامه وجعلها باسم الخليفة

العباسي المستضيء بالله سنة (٥٦٧ هـ / ١١٧١ م) وقيل أنها كانت قبل ثلاثة أيام من وفاة العاضد أو تزامنت معها، حتى ندم صلاح الدين على توقيت إجراءه هذا مراعاة لمشاعر الخليفة العاضد وقال: " لو علمت أنه يموت من هذا المرض لما قطعتها إلى أن يموت "[٦١].

مما يدل على احترام صلاح الدين ومحبته للخليفة العاضد إذ ظل وفياً له حتى بعد موته وخرج لجنازته وجلس لعزائه وأحسن إلى عائلته ونسائه وأقاربه وأسكنهم في دار فسيحة وأجرى لهم النعم والجرايات[٦٢] وهو ما يدل على النية الصادقة لأسلافنا الأوائل في التضحية والإيثار وجعلهما فوق كل اعتبار وهو أشد ما نحتاج إليه في أيامنا هذه من التجرد عن المصلحية والعرقية والطائفية التي صارت تنخر في جسد الأمة وتضعف طاقتها أمام أعدائها.

قيمة القرار السياسية والعسكرية والتاريخية:

كان لقرار الخليفة العاضد قيمة وأبعاداً سياسية وعسكرية على ساحة الصراع العربي الإسلامي – الصليبي أسفرت عنه نتائج مهمة تحققت وأثرت إيجاباً على حركة الجهاد الإسلامي بعد أن شخصنا أهمية مصر الاقتصادية والبشرية وأسباب ودوافع النزاع عليها من قبل الطرفين المتنافسين نور الدين محمود والملك الصليبي عموري الأول، وعدم قدرة حاكمها الخليفة العاضد من حمايتها والدفاع عنها أمام هذه التحديات المحيطة بها من دول الجوار وخاصة الخطر الصليبي المتمثل بأطماع عموري الأول لها، الأمر الذي دفع العاضد للاحتماء بالمسلمين واستنجاده بنور الدين فكان قرار العاضد هذا كالصاعقة التي نزلت على عموري الذي كان يمني نفسه بالحصول على مصر ويشعر أن ذلك كان قريباً لولا هذا القرار السياسي الحاسم من قبل الخليفة العاضد الذي أثلج قلوب المسلمين وأذاب أحلام الصليبيين فكانت له قيمة سياسية وعسكرية تاريخية تستحق الدراسة والتحليل لتبيان أهمية هذا القرار على الجبهة الإسلامية وعلى الطرفين المتنافسين الصليبي والإسلامي ومن بين هذه القيم والنتائج:

١. إن هذا القرار يعد من الناحية العسكرية قراراً حاسماً كونه حسم الصراع وبشكل نهائي لصالح المسلمين بقيادة نور الدين على صليبيي بيت المقدس بقيادة عموري الأول، وأعاد لمصر قوتها وهيبتها رغم كل ما أصابها من ضعف وتردي في هذه الحقبة وإن إضافة قوتها إلى قوة بلاد الشام يعد نصراً كبيراً للمسلمين.

٢. هذا القرار عزز قدرة المسلمين وزاد من ثقتهم على التوحد عندما يقررون ذلك كما زاد من ثقتهم على إفشال مخططات أعدائهم الصليبيين الذين صار رهانهم خاسراً جراء هذا القرار في إضعاف وحدة المسلمين لأن صاحب هذا القرار العاضد فضل خيار الأمة وشعر بانتمائه إليها.

٣. كما أن من أهم دلالات هذا القرار ونتائجه على الساحة الإسلامية أنه ألغى الحواجز المذهبية والعرقية بين المسلمين وجعلهم أمة واحدة ضد عدوهم المشترك الصليبيين، مما جعل هذا القرار السبب الرئيسي لنهوض الأمة ووحدتها في هذه الحقبة التي بدأت بين مصر وبلاد الشام وأطراف العراق لاحقاً.

٤. هذا القرار عزز التكامل الاقتصادي والبشري عند المسلمين بعد ضم مصر إلى بلاد الشام ومكن صلاح الدين من بناء ترسانة جيش كبير وقوي في الجبهة الجنوبية يكون رديفاً لجيش الشام في الجبهة الشرقية، فجاء منسجماً مع طموحات قادة المسلمين في الوحدة ابتداء من عماد الدين زنكي ونور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي لاحقاً.

٥. إن أهمية هذا القرار تعدت حماية مصر من خطر الصليبيين إلى حماية مقدسات المسلمين البعيدة الأخرى مكة والمدينة التي كانت ضمن نوايا وأطماع الصليبيين باحتلالها، إذ أثبتت الوقائع اللاحقة وعززت صحة هذا الافتراض عندما حاول (إرناط) حاكم الكرك الذي وصف بأنه الأكثر عدوانية على المسلمين وظل مصراً على نظرية القوة لدى الصليبيين ولم يدرك حقيقة التغير الكبير الذي جرى لصالح المسلمين بعد هذا القرار الذي وحد مصر مع بلاد الشام إذ حاول عندما قام إرناط سنة (٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م) بغزوة أراد منها الوصول إلى تلك المقدسات وتخريبها لكن هدفه هذا باء بالفشل واصطدم بقوة مصر التي تحركت منها قوة بحرية كبيرة بقيادة (حسام الدين لؤلؤ الحاجب) أخو العادل وبأمر من عمه العادل تعقبت إرناط ولحقته وشتت سفنه وأفشلت مشروعه[٦٣] وحمت المقدسات من شروره نتيجة هذا القرار.

٦. إن قرار العاضد أفرح المسلمين جميعاً بضم مصر وتناقلت بشائره كل أنحاء المعمورة الإسلامية لأنه وحد المسلمين وجعلهم خلافة واحدة وقيادة واحدة ضد الصليبيين الذين أخذوا يقلقون على مستقبلهم في بلاد الشام بعد أن صارت مصر وثقلها بيد عدوهم صلاح الدين الذي أضاف قوتها إلى بلاد الشام والتي مكنته من تحرير بيت المقدس لاحقاً فكان هذا

التحرير أهم ثمرة من ثمار ونتائج هذا القرار الذي غير حال المسلمين من حالة الضعف والدفاع إلى حالة الهجوم والتحرير.

٧. إن ضم مصر أفقد الصليبيين صوابهم وجعلهم بين كماشتين ومحاصرين بين جبهة مصر وجبهة بلاد الشام وهو ما أثبتته الأحداث اللاحقة للصليبيين فكان هذا القرار كارثياً بالنسبة لهم وخافوا حتى أيقنوا بالهلاك[٦٤]، وأدركت مملكة بيت المقدس خطورة الوضع الجديد عليها وأرسلت السفراء والرسائل إلى أوربا لنجدتها بعد خسارة مصر، غير أن سفرائها عادوا خائبين دون تحقيق أية نتيجة[٦٥] فصار عموري في مأزق حقيقي ولم يجد أمامه سوى إعادة تحالفه القديم مع البيزنطيين الذين شاركوه بهجوم مشترك على مصر لاحتلال دمياط سنة (٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م) لكن هذه المحاولة فشلت هي الأخرى نتيجة تظافر جهود قادة المسلمين نور الدين وصلاح الدين[٦٦].

٨. كما كان من نتائج هذا القرار زيادة قوة المسلمين الاقتصادية والبحرية والسوقية نظراً لما تملكه مصر من موانئ مهمة على سواحلها مثل دمياط والإسكندرية وما يقابلها من موانئ ساحل بلاد الشام، إذ صار يشكل حصاراً اقتصادياً وبحرياً على الصليبيين وجعلهم يفقدون سيادتهم البحرية بعد سيادة المسلمين على الجزر الشرقية من البحر المتوسط الأمر الذي جعلهم يشعرون باليأس والهلاك الذي ينتظرهم[٦٧] خاصة بعد ازدياد معاناتهم بالداخل وحاجتهم الدائمة لمساعدة أوربا وخوفهم على بيت المقدس من المسلمين الذي فقدوه فعلاً نتيجة هذا القرار.

٩. ومن الدلائل السياسية الأخرى لأهمية هذا القرار الذي أفقد الصليبيين احتلال مصر وأهميتها بالنسبة لهم الأمر الذي جعلهم يتشبثون بعودتها من جديد وأخذها من صلاح الدين لكن دون جدوى، إذ تعاون عموري الأول وتراسل مع أتباع النظام القديم من بقايا الفاطميين في مصر ومن بعض المستفيدين منه لإنجاح مؤامرة داخلية في مصر وبدعم من عموري نفسه لتعيد الأمور إلى ما كانت عليه سابقاً لكنها انكشفت وأحبطت في اللحظة الأخيرة[٦٨] وعندها فشلت آخر محالة من عموري الأول في استرداد مصر الذي ظل يحلم باحتلالها حتى مات كمداً وهو في أشد حسرة عليها.

١٠. بعد أن عرفنا القيمة السياسية والعسكرية لهذا القرار علينا أن نعرف القيمة التاريخية له كذلك، لأن التاريخ ليس مجرد سرد للأحداث والسنين وإنما هو دروس وعبر تستفيد منها الأجيال اللاحقة، وبما أن هذا القرار كان من القرارات السياسية المهمة التي تمخضت عنها نتائج مهمة غيرت مجرى التاريخ في المنطقة وفي هذه الحقبة لصالح المسلمين في صراعهم مع الصليبيين إذ تبين أن هذا القرار لم يكن مجرد مجازفة غير محسوبة بل إن صاحبه العاضد كان على أتم وعيه وإدراكه عند اتخاذ هذا القرار، لأنه كان يعيش أزمة حقيقية داخلية مع وزيره شاور الذي شق عنه عصا الطاعة وتعامل مع أعدائه الصليبيين وأدخلهم إلى عتبة بيته، فجعل العاضد كما ذكرنا بين خيارين لا ثالث لهما أحدهما خيار الأمة والآخر خيار أعدائها فاختار العاضد وفضل أمته رغم إدراكه وتحفظاته من خطورته اللاحقة على مستقبله السياسي كونه كان يدرك أن دولته غير قادرة في هذه اللحظة على دفع أعدائها الصليبيين الذين صاروا على الأبواب وأخذوا يبتزون ثروات بلاده جراء معاهدة مهينة بين وزيره شاور والصليبيين فضلاً عن منحهم سفارة في القاهرة تتدخل في شؤون بلاده، ولم يبق أمامه سوى التسليم للأجنبي وعندها تكون مثلبة عليه تتناقلها الأجيال على مر التاريخ.

لكن العاضد فضل الارتماء في أحضان أمته مهما كانت نتائجه، مسجلاً مفخرة تناقلتها الأيام كذلك، وحفظ كرامته وكرامة أمته وانتصارها على أعدائها الصليبيين متجاوزاً بذلك حدود المذهبية والعرقية عندما وضع مصيره ومصير دولته (الشيعية) بيد نور الدين محمود السني المذهب التركي النسب وأرسل إليه مع طلب استنجاده شعور نسائه الذي يمثل شرفه وعرضه الذي كان بأمس الحاجة لإنقاذه من الصليبيين، فاتخذ العاضد هذا الإجراء المناسب ولسان حاله يردد القول المأثور: " خير لك أن تموت واقفاً على قدميك من أن تعيش راكعاً على ركبتيك"[٦٩] وهو ما يذكرنا بموقف المعتمد ابن عباد أحد حكام دول الطوائف بالأندلس عندما صارت بلاده مهددة من خطر الملك الأسباني (الفونسو السادس) ملك قشتالة، واضطره الحال إلى الاستنجاد بالمرابطين ودعوتهم لحماية بلاده رغم تحذيرات البعض من الناصحين له من خطورة قراره هذا على مصير دولته، لكنه تمسك برأيه وتدبيره وأجاب محذريه وناصحيه بمقولته المشهورة التي ظلت رمزاً للتضحية عبر التاريخ وتناقلتها الأجيال التي قال فيها: " رعي الجمال خير من رعي الخنازير "[٧٠].

وهو ما يبين أن مواقف الرجال مهما كان نوعها سلباً أو إيجاباً فإنها تبقى ملكاً لأصحابها، وهو ما أردنا توضيحه هنا في هذه الدراسة متوخين منه العبرة والفائدة لأجيالنا اللاحقة، كي لا تنسى الأعمال الجليلة المؤثرة التي فعلت فعلتها في إنهاض الأمة وقوتها في أية مرحلة من مراحل التاريخ.

النتائج:

من كل ما تقدم وتحاشياً لتكرار النقاط الواردة في البحث: تبين ما يأتي:

١. إن هذه الدراسة أزالت الشكوك ووضحت اللبس والغموض الذي رافق قرار الخليفة العاضد باستدعائه قوات نور الدين إلى مصر، إذ أن معظم الدراسات التي تناولت الصراع الإسلامي – الصليبي انصب تركيز اهتمامها على نتائج القرار المهمة مثل تحقيق الوحدة بين مصر وبلاد الشام، وتحرير المقدسات دون دراسة القرار نفسه وظروف ودواعي اتخاذه، عندما قرر صاحبه العاضد وفضل (الدين على المذهب – والوطن على الأعداء) وسما إلى مرتبة عالية من التضحية رغم تحذيرات وزيره شاور.

٢. هذه الدراسة لم تكن تسويقاً للعاضد أو تحسيناً لصورته بقدر ما هي تقويم لقرار سياسي مهم كانت له نتائج مهمة لاحقة في حقبة مميزة وعصيبة في تاريخ الأمة، حتى صارت مثابة عالية ومفخرة للمسلمين على مدى الأيام. كما أن هذا القرار يبقى علامة مضيئة لصاحبه حفظها له التاريخ الذي هو ميزان أفعال الرجال يسجلها لهم سلباً كانت أم إيجاباً.

٣. بنيت هذه الدراسة لتقويم القرار على ضوء التحليل والنتائج والأسباب والظروف الموجبة البالغة الخطورة التي حملت العاضد على اتخاذ هذا القرار الذي كان الفيصل في حسم الصراع لصالح المسلمين.

٤. ويتضح مما سبق أن الدولة الفاطمية أنهت نفسها بنفسها عندما قرر حاكمها الخليفة العاضد لدين الله أن يضحي بنفسه ودولته في تحقيق هدف أسمى ألا وهو الوجود الإسلامي الذي مثل تهديداً هز كيان الوجود الصليبي.

هوامش البحث:

(١) عموري الأول: هو ملك مملك بيت المقدس بعد أخيه بلدوين الثالث سنة (٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م) عاصر نور الدين محمود وقام بعدة حروب ومحاولات للتوسع واحتلال مصر إلا أنها فشلت كما أنه مات بنفس السنة التي توفي فيها نور الدين محمود سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م (سيتون، كنيث: تاريخ الحروب الصليبية، تحرير سعيد البيشاوي ومحمد مؤنس عوض، ط ١، دار الشريعة للنشر والتوزيع، رام الله / ٢٠٠٤ م، ص ٢٠٥ – ٢١٠).

(٢) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٣٢ هـ / ١١٣١ م): تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، (باريس / ١٨٤٠ م)، ص ١٠٣ ؛ الصواف، خولة حمدون: مصر في عهد عمرو بن العاص، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) مقدمة إلى كلية الآداب جامعة الموصل لسنة ١٩٩٩ م، ص ١٥.

(٣) أبو الفداء: المصدر السابق، ص ١٠٣.

(٤) توفيق، فواز نصرت: مدينة دمياط وأهميتها في الحروب الصليبية، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى كلية التربية جامعة تكريت لسنة ٢٠٠٥ م، ص ٣٥ – ٣٦ ؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح: الحركة الصليبية، ط ٢، (القاهرة / ١٩٧١ م)، جـ ٢، ص ٩٣٢ – ٩٣٣.

(٥) عاشور: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٩٣٢ – ٩٣٣.

(٦) قاسم، عبدة قاسم: ماهية الحروب الصليبية، (الكويت / ١٩٩٩ م)، ص ٧٧.

(٧) ابن مماتي، الأسعد شرف الدين (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م): كتاب قوانين الدواوين، جمعه وحققه، عزيز سوريال عطية، مطبعة (مصر / ١٩٤٣ م)، ص ٢٥٨ – ٢٦٨.

(٨) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م): كتاب الاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، دار صادر بيروت، جـ ١، ص ١٥، ١٩٣، ١٩٧ ؛ متز، آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى

العربية، محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة / ١٩٥٧ م)، جـ ٢، ص ٢٩٦.

(٩) حسن، حسن، إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، جـ ٤، ص ٣٩٢ – ٣٩٤.

(١٠) المقريزي: الخطط، جـ ١، ص ٤٣٣.

(١١) المقريزي: الخطط، جـ ١، ص ٩٦.

(١٢) الصوري، وليم: تاريخ الحروب الصليبية، نقله إلى العربية وقدم له، سهيل زكار، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت / ٢٠٠٣ م)، جـ ٢، ص ٩٠٠.

(١٣) المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق، محمد عبد القادر أحمد عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت / ٢٠٠١ م)، جـ ٢، ص ٢٨٨ ؛ سرور جمال الدين: مصر في عصر الدولة الفاطمية، (القاهرة / ١٩٦٠ م)، ص ٨٨ وما بعدها.

(١٤) الغامدي، عبدالله سعيد: صلاح الدين الأيوبي والصليبيون، (مكة المكرمة / ١٩٨٥ م)، ص ٣٢.

(١٥) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢ هـ / ١١٣١ م): المختصر في أخبار البشر، ط ١، المطبعة الحسينية المصرية، جـ ٣، ص ٢٧ – ٢٨.

(١٦) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م): الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، ط ٤، (بيروت / ٢٠٠٢ م)، مج ٩، ص ٤٣٧ – ٤٣٨.

(١٧) ابن الأثير: الكامل، مج ٩، ص ٤٣٨.

(١٨) ابن الأثير: الكامل، مج ٩، ص ٤٥٠، الغامدي: صلاح الدين والصليبيون، ص ٣٦.

(١٩) ابن الأثير: الكامل، مج ٩، ص ٤٤٩ – ٤٥٠.

(٢٠) هو أبو شجاع شاور بن مجير الدين بن نزار من عشائر بني شاش (ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر بيروت، جـ ٢، ص ٤٣٩ – ٤٤٠).

(٢١) ابن الأثير: الكامل، مج ٩، ص ٤٦٠ ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٢، ص ٤٤.

(٢٢) ابن الأثير: الكامل، مج ٩، ص ٤٦٠.

(٢٣) ابن الأثير: الكامل، مج ٩، ص ٤٦٠ ؛ ابن قاضي شهبه، بدر الدين (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م): الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق، محمود زايد، دار الكتاب الجديد، ط ١، (بيروت / ١٩٧١ م)، ص ١٦٣.

(٢٤) هو أبو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار الملقب فارس المسلمين اللخمي، تولى الوزارة بعد خروجه على الوزير شاور وطرده من مصر (ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٢، ص ٤٤٠).

(٢٥) ابن الأثير: الكامل، مج ٩، ص ٤٦٠ ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٢، ص ٤٤٠.

(٢٦) الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م): العبر في خبر من غبر، حققه وضبطه، أبو هاجر محمد السيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، جـ ٣، ص ٣١.

(٢٧) المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، نشره، محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، ط ٢، (القاهرة / ١٩٥٧ م)، ص ٢٤ – ٢٨.

(٢٨) ابن شداد، بهاء الدين (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق، جمال الدين الشيال، ط ١، (القاهرة / ١٩٦٤ م)، ص ٣٦.

(٢٩) عاشور: الحركة الصليبية، جـ ٢، ص ٦٨١.

(٣٠) المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ٢٨٨ ؛ الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، جـ ٢، ص ٨٨٤.

(٣١) عاشور: الحركة الصليبية، جـ ٢، ص ٦٨١.

(٣٢) مؤنس، حسين: سيرة نور الدين محمود، ص ٢٤٦ – ٢٤٧.

(٣٣) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق، جمال الدين الشيال، مطبعة جامعة فؤاد الأول (القاهرة / ١٩٥٣)، جـ ١، ص ١٣٤.

(34) A History of the Crusade (Pensylphania: 1969) , vol.1,p.55.

(٣٥) أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان (ت ٦٦٥ هـ / ١١٦٩ م): كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت / ٢٠٠٢ م)، جـ ١، ص ٣٥٦ – ٣٥٧.

(٣٦) ابن الأثير: الكامل، مج ٩، ص ٤٦٥ – ٤٦٦ ؛ أبو شامة: الروضتين، جـ ١، ص ٣٥٦.

(٣٧) ابن الأثير: الكامل، مج ٩، ص ٤٦٥ – ٤٦٦.

(٣٨) ابن الأثير: الكامل، مج ٩، ص ٤٦٦ ؛ ابن واصل، جمال الدين محمد ابن سالم ابن واصل (٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق، جمال الدين الشيال، مطبعة جامعة فؤاد الأول (القاهرة / ١٩٥٣ م)، جـ ١، ص ١٣٩ ؛ الذهبي: العبر، جـ ٣، ص ٣١.

(٣٩) ابن الأثير: الكامل، مج ٩، ص ٤٦٦.

(٤٠) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، جـ ٥، ص ٣٤٧.

(٤١) ابن الأثير: الكامل، مج ٩، ص ٤٦٦ ؛ ابن واصل: مفرج الكروب، جـ ١، ص ١٣٧ ؛ أبو شامة: الروضتين، جـ ١، ص ٣٥٩.

(٤٢) ابن الأثير: الكامل، مج ٩، ص ٤٦٦ ؛ أبو شامة: الروضتين، جـ ١، ص ٣٥٩.

(٤٣) ابن الأثير: الكامل، مج ١٠، ص ٣ – ٥ ؛ ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٣٧ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في جـ ٥، ص ٣٤٨ – ٣٤٩.

(٤٤) ابن الأثير: الكامل، مج ١٠، ص ٥ ؛ وينظر: الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، جـ ٢، ص ٨٩٩ ؛ باركر، ارنست: الحروب الصليبية، ترجمة، الباز العريني، ط ٢، بيروت، ص ١٥٩.

(٤٥) المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ٣١٤ ؛ وينظر: شكيل، دجاني: القاضي الفاضل، ط ٢، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت / ١٩٩٩ م)، ص ٩٥.

(٤٦) الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، جـ ٢، ص ٩٠٢.

(٤٧) الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، جـ ٢، ص ٩٠٢.

(٤٨) المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق، محمد حلمي محمد أحمد، (القاهرة / ١٩٧٣) جـ ٣، ص ٢٩٣ ؛ ابن تغري بردي: النجوم، جـ ٥، ص ٣٤٩.

(٤٩) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ص ٣١٩.

(٥٠) ابن الأثير: الكامل، مج ١٠، ص ١٣ ؛ ابن الفرات، ناصر الدين محمد ابن عبد الرحيم (ت ٨٠٧ هـ ١٤٠٤ م): تاريخ ابن الفرات، عني بتحريره ونشره، حسن محمد الشماع، (مصر / ١٩٦٧)، جـ ٤، ص ٢٢.

(٥١) المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ٣١٧.

(٥٢) المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ٣١٧.

(٥٣) ابن الأثير: الكامل، مج ١٠، ص ١٤ ؛ ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٣٨ – ٣٩ ؛ أبو شامة: الروضتين، جـ ٢، ص ٣٩ ؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ٣٢٢.

(٥٤) ابن الأثير: الكامل، مج ١٠، ص ١٥ ؛ أبو شامة: الروضتين، جـ ٢، ص ٣٩ ؛ ابن الفرات: تاريخ، جـ ٤، ص ٣٣.

(٥٥) ابن الأثير: الكامل، مج ١٠، ص ١٥ ؛ ابن شداد: النوادر، ص ٤٠ ؛ ابن الفرات: تاريخ، جـ ٤، ص ٣٤ – ٣٥.

(٥٦) ابن الأثير: الكامل، مج ١٠، ص ١٥ ؛ ابن شداد: النوادر، ص ٤.

(٥٧) أبـن الأثيـر: ١ – الكامـل، مـج ١٠، ص ١٧، ٢ – البـاهر فـي الدولـة الأتابكيـة بالموصـل، تحقيـق، عبـد القـادر أحمـد طليمـات، دار الكتـب الحديثـة بالقـاهرة، ص ١٤٢ ؛ ابن شداد: النوادر، ص ٤٠ ؛ ابن الفرات: تاريخ، جـ ٤، ص ٦٢.

(٥٨) ابن الفرات: تاريخ، جـ ٤، ص ٦٥.

(٥٩) المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ٣٣١ص.

(٦٠) ابن الأثير: الكامل، مج ١٠، ص ٣٣ ؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ٣٣١ ؛ ابن قاضي شهبة: الكواكب، ص ١٩٩ – ٢٠٠.

(٦١) ابن الفرات: تاريخ، جـ ٤، ص ١٦٣ – ١٦٤ ؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ٣٣٨ ؛ ابن قاضي شهبه: الكواكب الدرية، ص ١٩٩.

(٦٢) ابن الأثير: الكامل، مج ١٠، ص ١١٨؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ٨٣٨.

(٦٣) ابـن الأثيـر: البـاهر في الدولـة الأتابكيـة، ص ١٤٣ ؛ سيتون، كنيـف: تـاريخ الحـروب الصـليبية، ترجمـة سـعدي البيشـاوي وآخـرون، ط ١، دار الشـروق للنشـر والتوزيـع ٢٠٠٤، جـ ١، ص ٢١١.

(٦٤) ابن الأثير: الكامل، مج ١٠، ص ٢٢ ؛ الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، جـ ٢، ص ٩٣٦.

(٦٥) ابـن الأثيـر: الكامـل، مـج ١٠، ص ٢٢ ؛ ابـن شـداد: النـوادر، ص ٤١ – ٤٣ ؛ أبـو شامة: الروضتين، جـ ٢، ص ٩٠ – ٩١.

(٦٦) نصرت، فواز: مدينة دمياط وأهميتها، ص ٣٦.

(٦٧) ابن الأثير: الكامل، مج ١٠، ص ١٠ ؛ الصوري: تاريخ، جـ ٢، ص ٩٣٦.

(٦٨) ابن الأثير: الكامل، مج ١٠، ص ٥٣ – ٥٥ ؛ أبو شامة: الروضتين، جـ ٢، ص ١٨٥ – ١٨٧.

(٦٩) مقبل، فهمي توفيق: الفاطميون والصليبيون، الدار الجامعية للطباعة والنشر، (بيروت / ١٩٨٠ م)، ص ١٦٨ – ١٦٩.

(٧٠) ابن عذاري، المراكشي (ت ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م): كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، كتب تعليقاته، إحسان عباس، دار الثقافة، (بيروت / ١٩٦٧)، جـ ٤، ص ١٣٢ ؛ الحجي، عبد الرحمن علي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط ١، دار القلم، (دمشق / ١٩٧٦)، ص ٣٩٢.